Batman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi Hakemli Dergisi

Batman University
Refereed Journal of Islamic Sciences Faculty

Yıl 2018, Cilt 2, Sayı 2

Year 2018 Volume 2, Issue 2

:

DİYARBAKIR'IN İSLAMİ FETHİ

Hüseyin ALİ /حسين علي

حائز على الدكتوراه من جامعة الجنان في لبنان تخصص التاريخ الإسلامي. husen222@hotmail.com.

Geliş Tarihi/Received:	Kabul Tarihi/Accepted:	e-Yayım/e-Printed:
27.09.2018	05.12.2018	31.12.2018

ÖZ

Bu araştırma konusu, Türkiye'nin yukarı Fırat deltasının bir şehri olan Diyarbakır'ın fethini ele almaktadır. Coğrafyacıların diliyle"en adil iklim"olarak nitelendirilen bu iklim "Ma Beyne'n-Nahrayn" (Dicle ile Fırat)'ın kuzey bölgesidir. Bu çalışma, tarihi süreç içerisinde sürekli değişim ve dönüşüme uğramış olan bu bölgenin önemli bir tarihi dönemini ele almaktadır ki bu devir de İslami fetih dönemidir.

İslam'dan önce bu bölge Bizans ile Pers devletlerinin hakimiyeti altında yaşamıştır. Bu iki devlet arasındaki karmaşadan dolayı söz konusu bölge İslam'dan önce uzun bir süre boyunca istikrarsızlık ve karmaşaya maruz kalmıştır.

Anahtar Kelimeler: İslami Fethi/Diyarbakır/Yukarı Fırat Deltası/ Halit Bin Velit

THE ISLAMIC CONQUEST OF DIYARBAKIR (AMAD)

ABSTRACT

This research deals with the history of the Islamic conquest of the city of Diyarbakır from the island of Upper Euphrates in Turkey, which geographers described as the fairest of the regions. It is the northern part of Mesopotamia, the Tigris and the Euphrates. This study is an attempt to explore an important historical period in the history of this region, which is full of events and changes. The period of Islamic conquest.

The city was subjugated before Islam to the authority of Persia and Byzantium, and the area controlled by each was commensurate with its strength, and with the internal conditions under it. Therefore, this region was not stable in the pre-Islamic period because of the long conflicts between Byzantium and Persia in order to compete for control. Residents of the region have paid the price of instability due to the political turmoil and religious conflicts that prevailed in the region due to the multiplicity of religions and different doctrines.

The Muslims came to open the city at a time when the population was suffering from the psychological pressure, and social unrest caused by these political and religious conflicts. The victorious Muslims were the savior of the population of all ethnic and religious groups from the injustice and tyranny of the Byzantines and Persians against their inhabitants.

Keywords: Islamic conquest, Upper Euphrates island, Diyarbakir, Khalid Ibn al-Walid

الفتح الاسلامي لمدينة ديار بكر (آمد)

الملخص

Hüseyin ALİ

يتناول هذا البحث تاريخ الفتح الإسلامي لمدينة ديار بكر (آمد) من بلاد الجزيرة الفراتية العليا في تركيا الذي وصفه الجغرافيون بأنه أعدل الأقاليم. وهي الجزء الشمالي لمنطقة ما بين النهرين أي دجلة والفرات، وهذه الدراسة محاولة لبحث فترة تاريخية مهمة من فترات تاريخ هذه المنطقة المزدحمة بالأحداث والتغيرات. وهي فترة الفتح الإسلامي.

ذلك أن المدينة خضعت قبل الإسلام لسلطتي فارس وبيزنطة، وكانت المساحة التي تسيطر عليها كل منهما تتناسب مع قوتها، ومع الأوضاع الداخلية التي ترزح تحتها. وعلى هذا فإن هذه المنطقة لم تكن مستقرة في الفترة السابقة للإسلام بسبب الصراعات الطويلة التي دارت بين بيزنطة وفارس من أجل منافسة كل منهما للسيطرة عليها. وقد دفع سكان المنطقة ثمن عدم الاستقرار بسبب اضطراب الوضع السياسي، والصراعات الدينية التي سادت أجواء المنطقة بسبب تعدد الديانات، واختلاف المذاهب.

وجاء المسلمون لفتح المدينة في الوقت الذي كان سكانها يعانون فيه من الضغوط النفسية، والاضطرابات الاجتماعية التي سببتها تلك الصراعات السياسية والدينية. فكان المسلمون الفاتحون المنقذ للسكان بكافة فئاتهم العرقية والدينية من الظلم والطغيان اللذين مارسهما أباطرة بيزنطة وأكاسرة الفرس ضد سكانها.

كلمات مفتاحية: الفتح الإسلامي، الجزيرة الفراتية العليا، ديار بكر، خالد ابن الوليد

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حظيت الفتوح الإسلامية لبلاد الشام في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر(رضي الله عنهما) باهتمام علمائنا المسلمين، فأفردوا لتأريخها الفصول الطوال، لا سيما وأنها تتحدث عن أكثر الحقب إشراقاً في تاريخ الأمة، ألا وهي حقبة نشر الدعوة الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية، والقضاءِ على ملكي فارس والروم.

امتدت هذه الفتوحات لتشمل دول العراق وفارس وأذربيجان شرقاً، ودول الشام ومصر غرباً، وانتقلت من نصرٍ إلى نصرٍ حتى دانت لها تلك الدول.

وموضوع البحث سيكون عن مدينة ديار بكر (آمد) في جنوب شرق تركيا، لقد خضعت هذه المدينة قبل الفتح الإسلامي لسلطتي فارس وبيزنطة، وكانت المساحة التي تسيطر عليها كل منهما تتناسب مع قوتها، ومع الأوضاع الداخلية التي ترزح تحتها. وقبل الفتح الإسلامي مباشرة كانت بيزنطة تسيطر على القسم الأعظم من تلك المنطقة، ذلك الجزء الذي يمتد من الفرات الغربي إلى منطقة طور عبدين، وكان الحد بين ما تسيطر عليه بيزنطة، وما يسيطر عليه الفرس يقع إلى الغرب من نَصِيبِين ودارا وسنجار.

كانت أوضاع ديار بكر(آمد) سيئة قبل الفتح الإسلامي بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي كان من أهم أسبابها أن المنطقة كانت مسرحاً للنزاع البيزنطي الفارسي، وكثيراً ماجرت في الجزيرة حروب دامية. وترافق مع ذلك عوامل طبيعية من زلازل وفيضانات خربت الحياة، فانكفأ الناس، وتراجعت الصناعة، وعانت التجارة من سوء الأمن، وتحول المزارعون والملاك الصغار إلى عبيد.

حين كانت مدينة ديار بكر (آمد) تعاني من هذه الأوضاع السيئة كان الإسلام قد بدأ ينتشر بفضل الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق، وكان لابد للمسلمين من فتح ديار بكر(آمد).

ويتضح من هذا أن موقع ديار بكر(آمد) المهم هو الذي دفع المسلمين إلى التفكير في فتحها، إضافة إلى أنها تقع على الحدود الفاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية والمناطق المفتوحة من قبل المسلمين.

لم تكن ديار بكر(آمد) تتميز بالموقع الاستراتيجي المهم فقط، بل إنها كانت منطقة اقتصادية مهمة زراعياً وصناعياً وتجارياً، ثم إن غالبية سكانها من الكرد والعرب وغيرهم الذين كان لابد من دعوتهم إلى الإسلام، أو على أقل تقدير تبعيتهم للخلافة الإسلامية.

ويمكن القول إن بعض أفراد هذه القبائل العربية من إياد والنمر وقيس وتغلب أسلموا وانضموا إلى المسلمين في فتحهم لتلك المنطقة، في حين أن بعضهم بقي

على دينه حتى بعد أن أتم المسلمون فتحها، ورفضوا دفع الجزية، ووافقوا على دفع الصدقة مضاعفة.

لقد تميزت ديار بكر(آمد) بالموارد الطبيعية التي ساعدتها على تكوين موارد اقتصادية من إنتاجها المحلي، بالإضافة إلى غناها السكاني المتنوع بين طوائف متعددة، مما جعلها تختلف عن غيرها بالصبغة السكانية وبالتمازج الذي حصل بين هذه الطوائف وأنتج مجتمعاً متحضراً.

يعد هذا البحث دراسة لتاريخ الفتح الإسلامي لمدينتي ديار بكر(آمد) ودراسة للأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية قبل الإسلام وإبان الفتح الإسلامي وهو محاولة لدراسة مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تاريخ هذه المنطقة المزدحمة بالأحداث والتغيرات.

أولاً – تاريخ ديار بكر(آمِدْ):

مدينة آمِدْ هي نفسها ديار بكر، ويطلق أحياناً عليها ديار بكر من باب إطلاق العام على الخاص وتقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة وكانت تعرف باسم (آميدا) وسماها العرب آمِدْ.

وآمِدْ بلد قديم مبني بالحجارة السوداء الصلبة(البازلت) فابن حوقل النصيبي يذكر أن عليها سوراً أسود من حجارة الأرحية سمي ميموناً لشدة سواده، ولهذا السبب تدعى آمِدْ السوداء([1]). ولقد أمعن البلدانيون المسلمون في وصف روعة بنائها، وحصانة موقعها وخصائص عمارتها، ويصفها المقدسي بأنها بلد حصين، حسن عجيب البناء على عمل أنطاكية، لأسوارها خمسة أبواب: باب الماء، وباب التل، وباب الروم، وباب الفرج، وباب السر يُحتاج إليه وقت الحرب، وختم وصفه بقوله:" لا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحصن ولا ثغراً أجل منها، في نحوم المسلمين بوجه الروم".

وفي سنة 438هـ/1046م مر الحاج الفارسي ناصر خسرو بمدينة آمِدْ ودون لها وصفاً دقيقاً حسبما رآها بنفسه، فذكر إنه لم ير قط مدينة مثل آمِدْ في أي مكان على وجه الأرض، ولا سمع من أحد أنه رآى مكاناً آخر مثلها، وأن طول المدينة ألفا خطوة وعرضها مثل ذلك، وهي محاطة بسور من الحجر الأسود يحيط بالتل المشرف عليه، وعلو هذا السور عشرون ذراعاً، وسمكه عشرة أذرع، وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص، وعلى نهاية كل مائة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السوداء نفسها، وفيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الأصلية([2]).

شغلت المدينة دوراً اقتصادياً مهماً، وقد ساعدها على ذلك قربها من نهر دجلة، فقد توفرت فيها المياه الغزيرة، فساعد على خصوبة أراضيها، فانتشرت فيها البساتين والمزارع، وهذا أدى إلى كثرة حاصلاتها التي كانت تصدرها إلى الموصل، والعراق، والشام، مثل حبوب القمح، والشعير، والأرز، والقطن، والفواكه المجففة([3]) ولكثرة محاصيلها من الحبوب قام سكانها بإنشاء الطواحين التي انتشرت على العيون لطحن الحبوب([4]). وعدا عن تميزها بالغنى الاقتصادي فقد تميزت بالموقع الاستراتيجي المهم، وشكلت حصناً منيعاً منذ القدم. وعندما زارها المقدسي قال عنها: " لا أعرف للمسلمين بلداً أحصن منها ولا ثغراً أجلَّ منها"([5]).

ثانياً – فتح ديار بكر (آمِدْ):

([1]) ابن حوقل النصيبي، محمد بن علي(ت:367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ/1992م، ص٢٠١. الرشيدي، محمد عبدالرحمن مسعد، **تاريخ آمِدْ وحضارتها**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات، 2008م، ص4. مجموعة من المؤلفين، **كتاب السالنامه ولاية ديار بكر**، مطبعة الولاية في دياربكر، 1308هـ/1890م، ص165.

([2]) مفتاح، علي محمد فريد، **التواريخ المحلية لإقليم الجزيرة الفراتية حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، طبعة خاصة بالمؤلف، عدن، ط1، 1430هـ/2009م، ص32-33.

([3]) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص201.

([4]) **المصدر نفسه**، ص201.

([5]) المقدسي، محمدبن أحمد(ت:380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، ط2، 1324هـ/1906م، ص140.

Hüseyin ALİ

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رض) إلى أبي عبيدة (رض) يقول له: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد(ص) أما بعد: فقد أجهدت نفسك في قتل الكفار وسارعت إلى رضا الجبار، وقدمت لك ما تجده يوم عرضك ولم نر منك يوماً معرضاً عن أداء فرضك وقمت بسنة نبيك وجاهدت في الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك، فإذا قرأت كتابي هذا فاعقد عقداً لعياض بن غَنْم وجهز معه جيشاً إلى أرض ربيعة وديار بكر، وإني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه، وأوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد في طاعته، ولا يلحقه التواني في الجهاد ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل عليه رب العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾([6]).

والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته. ثم كتب كتاباً آخر إلى عياض بن غَنْم (رض) بالولاية والمسير إلى أرض ربيعة الفرس وديار بكر([7]).

ثم أرسل عياض مالك بن الأشتر النخعي وأعطاه ألف فارس وأرسله إلى ناحية آمِدْ ومَيَّافَارِقِين، وحين وصل مالك مع الجيش إلى آمِدْ تبين له أن القلعة حصينة جداً، فأخذ يفكر بالأمر وأن مقامه سيطول هناك. ولما اقترب من آمِدْ وعاين بنفسه قوة الحصن، أمر الجيش بأن يكبروا معاً تكبيرة واحدة بأعلى صوت. فخاف أهل آمِدْ وتزلزلت أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف وأنهم لا قبل لهم بحربهم، فأرسلوا شخصاً إلى الأشتر فأجابهم الأشتر إلى الصلح، وتقرر أن يدفعوا خمسة آلاف دينار وعلى كل رجل أربعة دنانير جزية، ورضي حاكم البلد بهذا الصلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسلمون صباح يوم الجمعة سنة ثمانية عشر للهجرة، فطافوا فيها ساعة ثم خرجوا وأقاموا على بوابة البلدة. وبعد أن قبض الأشتر المال اتجه نحو مَيَّافَارِقِين ولما وصل إليها أرسل إليه (بطريق) البلد ويسمى (فطوس) أرسل شخصاً إلى الأشتر يلتمس الصلح على أن يدفع ثلاثة آلاف دينار والجزية المقررة فصالحه الأشتر على ذلك وكتب له عهداً وبعدما قبض المال سار إلى عياض(رض) الذي كان مشغولاً بحصار نَصِيبِين وسلمه الأموال التي قبضها([8]).

ويذكر الواقدي رواية أخرى لفتح آمِدْ مفادها: أنها كانت مدينة محصنة بالأسوار المنيعة وقد استعصت على الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد(رض) ولم تفلح المفاوضات صلحاً مع حكامها الروم، فضرب الجيش الإسلامي عليها الحصار خمسة أشهر بعد أن تعاهد أفراده على فتحها مهما كلّفهم ذلك من وقت وشهداء وكان خالد في كل يوم يدور حول أسوار المدينة بنفسه يعاينها باحثاً عن نقطة ضعف فيها، فإذا أتى الليل عاد إلى خيمته فيصلي المغرب ويركن إلى التفكير في خطة لفتح المدينة.

وكان لخالد (رض) غلام اسمه (همام) يخبز له في كل يوم أقراص خبز من شعير ويتركها في خيمته ليفطر عليها بعد صلاة المغرب لأنه كان دائم الصيام فإذا صلى المغرب أفطر على تلك الأقراص. حدث أن خالداً في أحد الأيام بعد صلاة المغرب لم يجد الأقراص في الخيمة فظن أن غلامه قد سها عنها وتكرر ذلك ثلاث ليال، فعاتب غلامه قائلاً: " أنت يا ولدي ما عندك ما تفطرني عليه وأنك ثلاث ليال لم تصنع لي شيئاً؟" فاستغرب همام وأكد لخالد أنه يصنع الأقراص ويضعها في موضعها كل يوم وما شك في أنه يأكلها فتبسم خالد مكتفياً بما ذكره لغلامه وقد أحزن ذلك همام وسعى إلى معرفة من يأخذ الأقراص من خيمة سيده لذلك في الليلة الرابعة صنع الأرغفة ووضعها في الخيمة واختبأ في مكان لا يرى فيه ليعرف من يأخذ الأقراص، فإذا هو بكلب قد أقبل من ناحية آمِدْ فدخل الخيمة وأخذ الأقراص بفمه وخرج فتبعه همام وإذا به يدخل من مسرب ماء جانب السور.

عاد خالد إلى خيمته في تلك الليلة وصلى المغرب وطلب من غلامه أن يأتيه بأقراص الخبز ليفطر عليها فاعتذر همام وشرح لخالد كيف أن كلباً يسرق الأرغفة وأنه تتبّع الكلب فوجده يدخل في مسرب ماء جانب الأسوار واستمهل سيده وقتاً قصيراً ليصنع له أقراصاً أخرى لكن خالد وقف مهتماً وقال:" دعك من

([6]) التوبة، الآية:73.

([7]) الواقدي، **فتوح الشام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص149.

([8]) ابن أعثم الكوفي، أبومحمد أحمد(ت:314هـ،926م)، **الفتوح**، تحقيق:علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ج1، ص259.

Hüseyin ALİ

الأقراص الآن ياولدي، خذني إلى موضع المسرب الذي دخل فيه الكلب " فأخذه وأراه الموضع فعاينه معاينة دقيقة وعاد طالباً اجتماع قادة الجيش فوراً في خيمته.

اجتمع القادة وأمراء الجيش مستغربين أن يدعوهم خالد للاجتماع وقد أرخى الليل سدوله فشرح لهم حكاية الكلب ومسرب الماء الذي دخل فيه جانب الأسوار وأنه بعد معاينة المسرب يرى أن المسرب يمرُّ من تحت الأسوار حيث مصدر الماء داخل المدينة وشرح لهم ما ألهمه الله به من خطة لفتح المدينة وهي أن يتسلل بعض الجند من المسرب إلى داخل أسوار المدينة في ليلتهم فيغافلوا حراس الأسوار ويفتحوا الباب الرئيسي فيها فوافقوه وتم استنفار الجيش فوراً دون أن يعلم أحد سبب الاستنفار المفاجئ هذا وقام القادة بانتقاء مئة من المتطوعين لتنفيذ مهمة عسكرية قرر خالد أن يقودها بنفسه.

شرح خالد للمتطوعين المئة مهمتهم وكانت تنص على ما يلي:

1- التسلل تحت جنح الظلام إلى موضع مسرب الماء قرب الأسوار.

2- عدم التسلل من المسرب إلى داخل المدينة إلا بعد منتصف الليل حيث يكون أهل آمِدْ وجنودها وحراس الأسوار قد غلبهم سلطان النوم.

3- توزيع المهام بعد الوصول إلى ما بعد الأسوار حيث كان خالد خلال مدة الحصار قد حفظ جغرافياً الأسوار وأماكن تموضع جنود الروم عليها وعيَّن أفراداً من قوة المتطوعين تكون مهمتها الأساسية الوصول إلى الباب الرئيسي وفتحه، وبعد فتحه يرفعون أصواتهم بالتكبير إشارة للجيش ليدخل من الباب.

4- من لايستطيع من الجنود عبور المسرب يعود إلى مكان تموضع الجيش ويشارك في فتح المدينة. تسلل خالد مع قوة المتطوعين إلى موضع مسرب الماء وكان ضيقاً مجهول البداية داخل المدينة وقد خمَّن خالد أن البعض من جنوده قد يتهيبون الدخول فيه فكان أول الداخلين مما عزَّز الثقة في نفوس جميع الجنود فتبعوه ونستنتج أن المسرب كان ضيقاً جداً لأن ثمانين مقاتلاً فقط استطاعوا النفاذ منه إلى داخل المدينة بينما تعذر نفاذ عشرين مقاتلاً لضخامة أجسامهم وكان بإمكانهم العودة إلى الجيش الرئيسي حسب الخطة المقررة إلا أنهم صمموا على المشاركة مع إخوانهم، فجاهدوا بالحفر في المسرب بأياديهم حتى وسعوا جانبيه وعبروا منه فكانوا بذلك مئة جندي داخل آمِدْ بإمرة خالد بن الوليدﷺ ثم توزعوا حسب الخطة صاعدين إلى الأسوار حيث فَاجَأُوا الحراس بينما كان الموكلون بأمر الباب الرئيسي ينفِّذون مهمتهم بدقة، فلما فتحوه باشروا التكبير وماهي إلا ساعة حتى كان جيش المسلمين داخل المدينة قد سيطر عليها بعد معركة سهلة قُتل فيها عدد كبير من جنود الروم وأسر الباقون دون أن يخسر الجيش المسلم أية خسائر تذكر قياساً لفتح مدينة محصنة منيعة كآمِدْ([9]).

ثالثاً – الأسباب والعوامل التي ساعدت على فتح ديار بكر (آمد):

أ – أسباب الفتح:

1 – الأسباب السياسية والاستراتيجية:

كانت ديار بكر (آمد) قبل فتحها خاضعة لسلطتي فارس وبيزنطة، ومن الصعب تحديد خط فاصل بين منطقة النفوذ الفارسي، ومنطقة نفوذ بيزنطة فيها بشكل دائم، لأن مساحة نفوذ كل دولة منهما كانت تتوقف على قوتها. ففي بداية القرن السابع الميلادي كانت عانة ونَصِيبِين تشكل خط الحدود بين الدولتين، ويبدو أن الفرس بعد هزيمتهم على يد هرقل اضطروا إلى تقليص عدد قواتهم في الجزيرة وحصرها، في سنجار، أو أنهم سحبوا قواتهم من الجزيرة بسبب الاستعانة بها في معاركهم مع المسلمين في العراق، وخاصة بعد يوم القادسية.

([9]) ينظر الواقدي، **فتوح الشام**،ج2، ص150-152.

Hüseyin ALİ

حين بدأ المسلمون فتح الجزيرة، لم يكن للفرس وجود عسكري إلا في سنجار التي كانت فيها حامية فارسية، وضعت للدفاع عن سهل ماردين، ودارا. بينما سيطرت بيزنطة على بقية مدن الجزيرة. وجعلوا من الرُّها قاعدة لإدارتها([10]).

لا شك أن وضع الجزيرة الفراتية السياسي وخضوعها لإمبراطوريتين عظيمتين، كان يشكل خطورة كبرى على وضع الدولة الإسلامية التي بدأت تتوسع شرقاً وشمالاً، وأن الفتوح التي حققها المسلمون في بلاد الشام والعراق كان له تأثير كبير في التحرك لفتح الجزيرة لتأمين الحدود من جهة، ولأن أهلها كانوا أعواناً لجيش البيزنطيين في الشام، من جهة أخرى فقد استنفرهم إمبراطور بيزنطة للانضمام إلى جيوشه لمحاصرة حمص ضد المسلمين([11])، ويذكر ابن حبيشي أن إمدادات الجزيرة لجيش بيزنطة المحاصرة لحمص قد بلغت ثلاثين ألف جندي وهذا يوضح حجم الإمدادات التي قدمتها الجزيرة لصد العرب الفاتحين، ومقدرة الجزيرة على تجنيد أعداد كبيرة من الجند وقد لفت هذا الوضع الخطير انتباه الفاتحين، ووجهوا اهتمامهم نحو الجزيرة الفراتية لأهميتها السياسية من ناحية، فهي قاعدة مشتركة لإمبراطوريتي فارس وبيزنطة. وأن بقاءها تحت سيطرتهما سيعطي الفرصة لهما لمحاولة السيطرة من جديد على العراق والشام بعد أن تستجمعا قواهما لمواجهة الفاتحين المسلمين.

أما الناحية الأخرى، فمنطقة ديار بكر (آمد) تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، فهي تتوسط في موقعها بين الشام والعراق وبلاد بيزنطة، وفتحها يكفل تأمين حدود بلاد الشام من الشمال والشرق، كما يؤمن العراق من الشمال والشمال الغربي، وفي نفس الوقت تكون قاعدة لانطلاق الجيوش إلى أراضي بيزنطة، وفوق كل ذلك فهي قاعدة لامتداد الفتوح الإسلامية تجاه أذربيجان من ناحية الشرق والشمال الشرقي. إضافة إلى أهميتها العسكرية. والحقيقة أن المسلمين في جميع فتوحاتهم كانوا يسيرون على خطة تأمين الفتح، أي أن ذلك لم يكن شيئاً يخص منطقة الجزيرة فقط، ففتح الشام وفلسطين سهل فتح مصر، وفتح العراق سهل فتح الجزيرة، وأرمينية وأذربيجان وهكذا([12]).

2 – الأسباب الاجتماعية:

قد تكون الأوضاع الاجتماعية التي كانت عليها تلك المنطقة أحد الأسباب التي أدت إلى فتحها. فمن المحتمل أن لموقف عرب الجزيرة، وعرب الشام من المسلمين الفاتحين– في اليرموك وحمص وغيرهما– كبير الأثر في نفوسهم، خاصة حين وجدوهم يقاتلون في صفوف البيزنطيين، مما دفع إلى العمل على ضم أبناء جلدتهم إليهم وتحريرهم من نير البيزنطيين والفرس، وكسبهم إلى صفوفهم([13]).

ويوضح ذلك المحاورة التي جرت بين خالد بن الوليد(رض) وبعض العرب المناهضين للفتوح، والتي جاء فيها:" ويحكم ما أنتم؟ أعرب؟ فما تنقمون من العرب أو من العجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له زعيم قبيلة تغلب عدي بن عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لما تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية...".

ويبدو أن عبارات خالد قد أثرت في هؤلاء العرب مما دفع بزعيمهم عدي إلى الانضمام وقومه تغلب ومعهم من حالفهم من النمر بن قاسط إلى العرب المسلمين مرددين عبارة: نقاتل مع قومنا، فصالحوهم على مئة وتسعين ألف دينار.

كما نجح الفاتحون في استمالة غيرهم من القبائل العربية التي استقرت في العراق، وفي حدود الجزيرة، وبقي بعضهم على نصرانيته مثل بني تغلب.

إلا أن هذا لم يقف حاجزاً بينهم وبين بقية العرب، ومن المرجح أن استجابة العرب لبني جلدتهم كان مرجعه رغبة هؤلاء العرب المتنصّرة في التخلص من الظلم والتعسف اللذين كانا يلقيانه من أباطرة بيزنطة وأكاسرة فارس، وما شاهدوه من حسن معاملة المسلمين لأهالي البلدان المفتوحة، في الشام والعراق([14]).

([10]) **المصدر نفسه**، ص92.

([11]) البلاذري، أحمد بن يحيى(ت:279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م، ص122.

([12]) العمري، سعاد أحمد، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1416هـ/1995م، ص93.

([13]) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص140-141.

3 – الأسباب الدينية:

وتتمثل هذه الأسباب في حركة الجهاد الاسلامي في سبيل الله، فقد خرجت الجيوش الإسلامية وراء تيار الجهاد وتحت لوائه لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله في الدرجة الأولى، وكانت عبارة أبي بكر الصديق(رض) حين استنفر أهل مكة، والطائف، واليمن، وجميع العرب بنجد، والحجاز، تتضمن الجهاد في سبيل الله والترغيب فيه([15]). وتؤكد معاهدات الصلح التي كتبها المسلمون لأهالي المناطق المفتوحة أن غاية المسلمين من الفتوح هي نشر الإسلام، لأنه المطلب الأول، فإن لم يكن فالجزية لحمايتهم، لذلك يختلط المسلمون بغيرهم، ويبدو تسامحهم علناً، وقد يؤدي تسامح المسلمين مع رعاياهم إلى دخولهم في الإسلام. ثم إن الفاتحين كانوا يستميتون في الدفاع عن الإسلام، ولا يقبلون إلا بالنصر أو الشهادة التي كان يسعى إليها غالبيتهم. وقد أمدهم الإسلام بطاقة من الإيمان كانت عاملاً فعالاً في استمرار فتوحهم، وإحراز انتصارات تجاوزت كل تقدير.

وهكذا يمكن القول بأن الأسباب الدينية كانت من أقوى الدوافع التي دفعت بالمسلمين إلى الانضمام لحركة الفتوح التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية منذ الوهلة الأولى التي كتب فيها الخليفة أبو بكر الصديق(رض) إلى قبائل العرب يستنفرهم للجهاد. فسارعوا إليه ما بين محتسب وطامع في الشهادة في سبيل الله. يحدوهم الأمل في متابعة سيرة رسول الله(ص) في نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية([16]). وقد اتضحت نواياهم في نشر الإسلام من طريقة معاملتهم لأهالي البلاد المفتوحة، ظهر ذلك من معاهدات الصلح التي أُبرمت بين الطرفين، وبناء المساجد في كل بلد يتم فتحه.

ب – العوامل التي سهلت على المسلمين فتح ديار بكر (آمد):

تذكر بعض المصادر أن **ديار بكر (آمد)** كانت أسهل البلدان أمراً وأيسرها فتحاً، على الرغم من بعض الصعوبات التي واجهتها جيوش المسلمين في بداية فتحها. ويمكن القول: إن **ديار بكر (آمد)** لم تشهد معارك دموية أو خسائر كبيرة في الأرواح، فيما عدا منطقة رأس العين التي استعصت في بادئ الأمر وأغلق أهلها أبوابها، ونصبوا العرّادات عليها، وتسببوا بقتل عدد من المسلمين بالحجارة والسهام، إلا أنها فُتحت صلحاً فيما بعد([17]). ويمكن أن نعزو سهولة فتح **ديار بكر (آمد)** إلى عدة عوامل منها:

1- انحصار أرض ديار بكر (آمد) بين مناطق تابعة للعرب المسلمين في العراق والشام جعل فتحها ضرورة ملحة، لئلا تبقى منطقة خطر تهدد المسلمين في المناطق المجاورة، وتفصل منطقتين تابعتين للمسلمين عن بعضهما، ولذلك فإن المسلمين استعدوا لهذا الفتح استعداداً كبيراً أدى إلى سهولة فتحها.

2- حسن معاملتهم لمن انضم إليهم أو دخل في ذمتهم، أو دان بدينهم.

3- انسحاب القوات البيزنطية من منطقة الجزيرة بعد فتح الشام([18])، واعتناق الجند الفرس المرابطين في سنجار للإسلام بعد فتح الجزيرة مباشرة. جعل ديار بكر (آمد) خالية إلى حد ما من القوى العسكرية.

4- دخول بعض بطون القبائل العربية في هذه المناطق تحت سيطرة الفاتحين المسلمين بعد فتح الشام والعراق مما دفع ببقايا هذه القبائل القاطنة في منطقة ديار بكر (آمد) إلى الإلتحاق بمن سبقها، ودخلوا تحت طاعة المسلمين. فقد شعروا بأن الفاتحين ليسوا أعداء وبالإمكان تقبل دخولهم إلى المنطقة، إضافة إلى

([14]) العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص94-95.
([15]) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص115 وص187.
([16]) **المصدر نفسه**، ص115.
([17]) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص181.
([18]) **المصدر نفسه**، ص142-143.

أن الفاتحين المسلمين كانوا يرون ضم أبناء جلدتهم من العرب في المنطقة إليهم، وتحريرهم من نير البيزنطيين، فبعضهم استجاب لهذه الدعوة، وآخرون رفضوا الدخول في الإسلام، كما رفضوا دفع الجزية باسمها، لشعورهم بالأنفة والعزة، ولأنهم رأوا في دفع الجزية مذلة لهم([19]).

5- معاناة تلك المنطقة من الوضع السياسي قبل الإسلام بسبب وقوعها تحت سيطرة دولتين متصارعتين، نشبت بينهما حروب طاحنة أدت إلى خراب أراضيها، ووجدوا في المسلمين المنقذ لهم من تلك الصراعات، مما دفعهم إلى عدم المقاومة، والقبول بعقد الصلح مع المسلمين([20]).

الخاتمة:

وخلاصة لما سبق ذكره نستنتج بأن فتح ديار بكر (آمد) قد حدث في الوقت الذي كان سكانها يعانون من الضغوط النفسية، والاضطرابات الاجتماعية التي سببها لهم أباطرة بيزنطة وأكاسرة فارس. فكان هؤلاء الفاتحون المنقذ لهم من الظلم والطغيان اللَّذَينِ خيما على تلك المنطقة.

وقد كانت أسباب متنوعة سياسية واجتماعية ودينية أدت إلى قيام المسلمين بالفتح، وكانت الأسباب الدينية من أقوى الأسباب التي دفعت بجيوش المسلمين نحو المنطقة لفتحها، استمراراً لحركة الفتوح التي خرجت لنشر الرسالة الإسلامية في أرجاء العالم.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن أعثم الكوفي، أبومحمد أحمد(ت:314هـ،926م)، **الفتوح**، تحقيق:علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.

2- ابن حوقل النصيبي، محمد بن علي(ت:367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ/1992م.

3- البلاذري، أحمد بن يحيى(ت:279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م.

4- الرشيدي، محمد عبدالرحمن مسعد، **تاريخ آمِدْ وحضارتها**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات، 2008م.

5- العمري، سعاد أحمد، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1416هـ/1995م.

6- مجموعة من المؤلفين، **كتاب السالنامه ولاية ديار بكر**، مطبعة الولاية في دياربكر، 1308هـ/1890م.

7- مفتاح، علي محمد فريد، **التواريخ المحلية لإقليم الجزيرة الفراتية حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، طبعة خاصة بالمؤلف، عدن، ط1، 1430هـ/2009م.

8- المقدسي، محمدبن أحمد(ت:380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، ط2، 1324هـ/1906م.

9- الواقدي، **فتوح الشام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

([19]) **المصدر نفسه**، ص184.

([20]) العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص98.